تأكد من الخطأ قبل النصيحة

كان واضحًا من نبرة صوته لما اتصل بي أنه كان غضبان يكتم غيظه قدر المستطاع.. ليست هذه هي النبرة التي تعودت عليها من فهد.. شعرت أن عنده شيئًا..

بدأ كلامه متحدثًا عن الفتن وتعرض الناس لها.. ثم احتدت النبرة.

وجعل يكرر: أنت داعية وطالب علم وأفعالك محسوبة عليك.

قلت: أبا عبد الله، ليتك تدخل في الموضوع مباشرة.

قال: المحاضرة التي ألقيتها في.. وقلت.

تعجبت.. قلت: متى كان ذلك؟

قال: قبل ثلاثة أسابيع.

قلت: لم أذهب لتلك المنطقة منذ سنة.

قال: بلى.. وتحدثت عن كذا.

ثم تبيَّن لي أن صاحبي بلغته إشاعة فصدقها.. وبنى على أساسها مناصحته. وموقفه وكلامه.. صحيح أنني لا أزال أحبه.. لكن نظرتي إليه قصرت؛ لأنني اكتشفت أنه متسرع ومثل ما يقولون: (يطير في العجة)..!!

كم هم أولئك الذين يبنون مواقفهم ونظراتهم على إشاعات.. كثير منهم من يأتيك مناصحًا.. ليكتشف بعدها أنه كان يجري وراء إشاعة.

وكثير منهم من تنطبع هذه الإشاعة في قلبه.. ويكّون على أساسها تصوره عنك.. وهي كذبة.

أحيانًا يشاع أن فلانًا فعل كذا وكذا.. فلأجل أن تحتفظ بقدرك عنده تأكد من الخبر قبل الكلام عنه.. وهذا منهج النبي ﷺ.

أتى رجل إلى النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إليه.. فإذا رجل رث الهيئة.. مغبر الشعر.. فأراد ﷺ أن ينصحه ليصلح من هيئته.. لكنه خشي أن يكون الرجل فقيرًا أصلًا.. ليس ذا مال.

فقال له: «هل لك من مال؟».

قال الرجل: نعم.

قال: «من أي المال؟».

قال الرجل: من كل المال من الإبل والرقيق والخيل والغنم.

قال: «فإذا آتاك الله مالًا فلير عليك».

ثم قال: «تنتج إبل قومك صحاح آذانها.. فتعمد إلى الموسى.. فتقطع آذانها..

فتقول: هذه بحيرة.. وتشقها.. أو تشق جلودها.

وتقول: هذه صرم.. فتحرمها عليك وعلى أهلك».

قال الرجل: نعم.

قال: «فإن ما أعطاك الله لك حل.. موسى الله أحدٌّ»[1].

وفي عام الوفود كان بعض الناس يأتي مسلمًا ويبايع النبي ﷺ.. وبعضهم يأتي كافرًا ويسلم أو يعاهد.. فبينما رسول الله ﷺ مع أصحابه يومًا إذ جاء وفد الصَّدف وهم بضعة عشر راكبًا.. فأقبلوا إلى مجلس النبي ﷺ.. فجلسوا ولم

---

(١) أخرجه الحاكم، وصحح إسناده.

يسلموا.

فسألهم: «أمسلمون أنتم؟»

قالوا: نعم.

قال: «فهلا سلمتم؟».

فقاموا قيامًا فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقال: «وعليكم السلام.. اجلسوا»، فجلسوا ثم سألوه ﷺ عن أوقات الصلوات.

وفي عهد عمر ﷺ توسعت بلاد الإسلام.. فعيَّن عمر سعد بن أبي وقاص أميرًا على الكوفة.

كان أهل الكوفة حينذاك مشاغبين على ولاتهم.. أرسل نفر منهم رسالة إلى الخليفة عمر ﷺ يشتكون إليه من سعد.. وذكروا عيوبًا كثيرة.. حتى إنهم قالوا: ولا يحسن أن يصلي!!

فلما قرأ عمر الكتاب لم يتسرع باتخاذ قرار ولا كتابة نصيحة.. وإنما أرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة معه كتاب إلى سعد.. وأمره أن يسير مع سعد، ويسأل الناس عنه.

وصل محمد بن مسلمة وأخبر سعدًا الخبر.. ثم جعل يصلي مع سعد في المساجد.. ويسأل الناس عن سعد.

ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه.. ولا يذكرون عن سعد إلا معروفًا.. حتى دخل مسجدًا لبني عبس.. فقام محمد بن مسلمة وسأل الناس عن أميرهم سعد؟؟ فأثنوا عليه خيرًا.

فقال محمد: أنشدكم بالله.. هل تعلمون منه غير ذلك؟

قالوا: لا نعلم إلا خيرًا.

فكرر عليهم السؤال.. عندها قام رجل في آخر المسجد اسمه أسامة بن قتادة.. فقال: أما إذ نشدتنا بالله فاسمع: إن سعدًا كان لا يسير بالسوية ولا يعدل في القضية.

فعجب سعد وقال: أنا كذلك؟

قال الرجل: نعم.

فقال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا وقد قام رياء وسمعة اللهم قد أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.

ثم خرج سعد من المسجد.. ومضى إلى المدينة ومات بعدها بسنوات.. أما ذلك الرجل فلا زالت دعوة سعد تلاحقه حتى كبرت سنه.. ورقَّ عظمه.. واحدودب ظهره.. وطال عمره حتى ملَّ من حياته واشتد فقره.. فكان يجلس وسط الطريق يسأل الناس.. وقد سقط حاجباه على عينيه من شدة الكبر.

فإذا مرت به النساء مدَّ يده يغمزهن ويتعرض لهن!!

فكان الناس يصيحون به ويسبونه. **فيقول:** وماذا أفعل!!

شيخ كبير مفتون.. أصابتني دعوة الرجل الصالح سعد بن أبي وقاص.

حديث

بئس مطية الرجل زعموا

وكفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكلِّ ما سمع.

اجلـــدني برفـــق!!

لا يعني ما تقدم من كلامه عدم اللوم أبدًا.. كلا.. فقد تحتاج في أحيان متكررة أن تلوم الآخرين.. ولدك.. زوجتك.. صديقك.. لكن يمكن تأجيله قليلًا.. أو استخدام أساليب أخف.

دع الملوم يحتفظ بماء وجهه.

بعدما فتح ﷺ مكة وقد قوي شأنه عند العرب.. وكثر الداخلون في الإسلام.. غزا ﷺ بالناس حنينًا.. فجاء المشركون بأحسن صفوف.. فصفت الخيل. ثم صفت المقاتلة.. ثم صفت النساء من وراء ذلك.. ثم صفت الغنم.. ثم النعم.

والمسلمون بشر كثير قد بلغوا اثني عشر ألفًا.

وكان المشركون قد سبقوا إلى وادي حنين.. واختبأت كتائب منهم في جانبيه بين الصخور.. فما هو إلا أن ابتدأ القتال.. ودخلت جموع المسلمين في الوادي حتى تفجر عليهم الكفار من كل جانب.. وجعلوا يرمون جيش المسلمين من كل جانب بالحجارة والنبال.

واضطرب الناس.. وجعلت خيل المسلمين تلوذ خلف ظهورهم.. فلم يلبث المسلمون أن انكشفت خيلهم.. وكان أول من فرَّ الأعراب.. وتسلط الكفار وظهروا.

فألتفت رسول الله ﷺ.. فإذا الجموع تفرُّ.. والدماء تسيل.. والخيل يضرب بعضها في بعض.. فجعل يأمر العباس بأن ينادي: يا للمهاجرين يا للأنصار؟ فرجعوا حتى ثبت ﷺ في ثمانين أو مائة رجل.. ثم نصر الله

المسلمين.. وانتهى القتال.

فلما جمعت الغنائم بين يدي النبي ﷺ.. فإذا الذين فروا من القتال وخافوا من الرماح والنبال.. هم أول من اجتمع على رسول الله ﷺ يريد الغنائم!!

تعلقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له: اقسم علينا فيئنا.. اقسم علينا فيئنا.. يريدون الغنائم.

عجبًا..!! يقسم فيئكم!؟ متى صار فيؤكم وأنتم لم تقاتلوا!؟

كيف تطلبون من الغنيمة.. وهو الذي كان يصرخ بكم لتعودوا، وأنتم لا تستجيبون؟!!

لكنه ﷺ لم يكن يدقق على مثل هذا.. فالدنيا لا تساوي عنده شيئًا..

جعلوا يتبعونه ويرددون: اقسم علينا فيئنا.. حتى تزاحموا عليه وضيقوا الطريق بين يديه.. واضطروه إلى شجرة.. فمرَّ من شدة الزحام ملاصقًا لها.. فتعلق رداؤه بأغصانها حتى سقط عن منكبيه وصار بطنه وظهره مكشوفًا.. فلم يغضب.. وإنما التفت إليهم، وقال بكل هدوء: «**أيها الناس.. ردوا عليَّ ردائي.. فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم.. ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا**».. نعم.. لأنه لو كان بخيلًا لأمسك الأموال لنفسه.. ولو كان جبانًا لفر مع الفارين.. ولو كان كذابًا لما نصره رب العالمين.

مواقفه ﷺ الرائعة كثيرة.

كان ﷺ يمشي مع بعض أصحابه.. فمرَّ بامرأة تبكي عند قبر على صبي لها.. فقال لها ﷺ: «**اتقي الله واصبري**».

كانت المرأة باكية مهمومة.. فلم تعرف النبي ﷺ.. فقالت: إليك عني.. وما تبالي أنت بمصيبتي..؟!

فسكت النبي ﷺ وذهب وتركها.. فقد أدى ما عليه.. وأدرك أن المرأة الآن في وضع نفسي قد لا يناسب أن يزاد عليها في النصح أكثر مما سمعت.

التفت بعض الصحابة إليها وقالوا: هذا رسول الله ﷺ..!!

فندمت المرأة على ما قالت: وقامت تحاول أن تلحق بالنبي ﷺ حتى وصلت بيته.. فلم تجد على بابه بوابين.

فقالت معتذرة: يا رسول الله.. لم أعرفك.. الآن أصبر.. فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[1].

إقتل برفق

إن الله كتب الإحسان على كل شيء.. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة.. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح.. وليحد أحدكم شفرته.. وليرح ذبيحته.. حديث رواه مسلم

(١) متفق عليه.

فرَّ من المشاكل!!

أظنه لو أجرى تحليلًا في مستشفى بدائي لاكتشف في جسمه عشرة أنواع من الأمراض.. أهونها الضغط والسكر!!

كان المسكين يعذب نفسه كثيرًا؛ لأنه يطالب الناس بالمثالية التامة.

دائمًا تجده متضايقًا من زوجته.. كسرت الصحن الجديد.

نسيت كنس الصالة.أحرقت ثوبي الجديد بالمكواة.

وأولاده.. خالد إلى الآن لم يحفظ جدول الضرب.

وسعد.. لم يظفر بتقدير ممتاز.. وسارة.. وهند.

هذا حاله في بيته.. أما بين زملائه فأعظم.

أبو عبد الله قصدني لما ذكر قصة البخيل..!

والبارحة أبو أحمد يعنيني لما تكلم عن السيارات القديمة.. نعم يقصد سيارتي.. نعم.. كان ينظر إليَّ.. آخر مواقف وتفكيرات هذا الرجل المسكين.

قديمًا قالوا في المثل: «**إن أطاعك الزمان وإلا أطعه**».

أذكر أن أعرابيًّا – من أصدقائي – كان يردد مثلًا حفظه من جده.. كان يسمعني إياه كثيرًا إذا بدأت أتفلسف عليه ببعض المعلومات.

فكان يخرج زفيرًا طويلًا من صدره ثم يقول: يا شيخ.. اليد اللي ما تقدر تلويها صافحها..!!

وإذا تفكرت في هذا وجدته صحيحًا.. فنحن إذا لم نعود أنفسنا على التسامح وتمشية الأمور.. أو بمعنى آخر التغابي وعدم الإغراق في التفسيرات

والظنون.. وإلا فسوف نتعب كثيرًا..

لـيس الغبـي بسـيد في قومـه لكـــن ســـيد قومـــه المتغـــابي

أقبل شابٌّ نضر إلى شيخه يلتمس منه أن يساعده في اختيار زوجة تكون رفيقة دربه حتى الممات. **فقال الشيخ**: ما هي الصفات التي ترغب وجودها في زوجتك؟

فقال: منظرها جميل.. وقوامها طويل.. وشعرها حرير.. ورائحتها عبير.. لذيذة الطعام.. عذبة الكلام.. إن نظرت إليها سرتني.. وإن غبت عنها حفظتني.. لا تخالف لي أمرًا.. ولا أخشى منها شرًّا.. لها دين يرفعها.. وحكمة تنفعها!!

وراح يسرد من صفات الكمال المتفرقة في النساء ويجمعها في امرأة واحدة.

فلما أكثر على الشيخ.. قال له: يا ولدي.. عندي طلبك.

قال: أين؟ **قال**: في الجنة بإذن الله.. أما في الدنيا فعود نفسك التسامح.

نعم في الدنيا عوِّد نفسك التسامح.. لا تعذِّب نفسك بالبحث عن مشاكل لإثارتها.. والنقاش حولها.. فيومًا تصرخ في وجه جليس: أنت تقصدني بكلامك.

ويومًا في وجه ولدك: أنت تريد أن تحزنني بكسلك.

ويومًا في وجه زوجتك: أنت تتعمدين إهمال بيتك.

وقد كان منهج النبي ﷺ التسامح عمومًا.. فكان يستمتع بحياته..

كان يدخل ﷺ على أهله أحيانًا في الضحى وهو جائع فيسألهم: «**هل**

عندكم من شيء.. عندكم طعام؟» فيقولون: لا.

فيقول ﷺ: «إني إذا صائم»[1].

ولم يكن يصنع لأجل ذلك مشاكل.. ما كان يقول: لِمَ لَمْ تصنعوا طعامًا.. لم لم تخبروني لأشتري.. إني إذا صائم.. وانتهى الأمر.

وكان في تعامله مع الناس يتعامل بكل سماحة.

كلثوم بن الحصين كان من خيار الصحابة.. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك.. فسرت ذات ليلة معه ونحن بوادي «الأخضر».. وذكر كلثوم القصة وفيها أنهم أطالوا المشي.. فجعل يغلبه النعاس.. وجعلت ناقته تقترب من ناقة النبي ﷺ.. ويستيقظ فجأة فيبعدها خوفًا من أن يصيب رحل ناقته رجل النبي ﷺ.

حتى غلبته عينه في بعض الطريق.. فزاحمت راحلته راحلة النبي ﷺ.. وضرب رحله رجل النبي ﷺ فآلمه.. فقال النبي ﷺ من حر ما يجد: «حس».

فاستيقظ كلثوم.. فاضطرب وقال: يا رسول الله استغفر لي.

فقال ﷺ بكل سماحة: «سِرْ.. سِرْ..».

نعم: سِرْ.. ولم يعمل قضية.. لماذا تضايقني؟ الطريق واسع! ما الذي جاء بك بجانبي؟! لا.. لم يتعب نفسه.. ضربة رجل.. وانتهت.

كان هذا أسلوبه ﷺ دائمًا.

جلس يومًا بين أصحابه.. فأقبلت إليه امرأة ببردة قطعة قماش.

فقالت: يا رسول الله.. إني نسجت هذه بيدي.. أكسوكها.. فأخذها النبي

---

(١) رواه مسلم.

ﷺ وكان محتاجًا إليها.. وقام ودخل بيته فلبسها.. ثم خرج إلى أصحابه وهي إزاره. **فقال** رجل من القوم: يا رسول الله.. اكسنيها. **فقال** ﷺ: «**نعم**».

ورجع ﷺ فورًا إلى بيته فخلعها وطواها.. ولبس إزارًا قديمًا.. ثم أرسل بها إلى الرجل.. فقال الناس للرجل: ما أحسنت.. سألته إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلًا؟!

فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت.. فلما مات الرجل كفنه أهله فيها[1].

ما أجمل احتواء الناس بهذه التعاملات.

قام ﷺ يومًا يؤم أصحابه في صلاة العشاء.. فدخل المسجد طفلان.. الحسن والحسين ابنا فاطمة -رضي الله عنها.

فأقبلا إلى جدهما رسول الله ﷺ وهو يصلي.. فكان إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره. فإذا أراد ﷺ أن يرفع رأسه تناولهما بيديه من خلفه تناولًا رفيقًا.. ووضعهما عن ظهره.. فجلسا جانبًا. فإذا عاد لسجوده عادا فوثبا على ظهره.. حتى قضى ﷺ صلاته.. فأخذهما بكل رفق وأقعدهما على فخذيه.

فقام أبو هريرة ﷺ فقال: يا رسول الله.. أردهما..؟ يعني أعيدهما لأمهما..؟ فلم يعجل ﷺ عليهما. ثم لبث قليلًا.. فبرقت برقة من السماء.. فقال لهما ﷺ: «**الحقا بأمكما.. فقاما فدخلا على أمهما**»[2]. وفي يوم آخر.. خرج النبي ﷺ.. على أصحابه في إحدى صلاتي الظهر أو العصر.. وهو حامل الحسن أو الحسين.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

فتقدم إلى موضع صلاته فوضعه.. ثم كبر مصليًا بالناس.. فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها.. حتى خشي عليه أصحابه أن يكون قد أصابه شيء.

ثم رفع من سجوده.. وبعد انتهاء الصلاة سأله أصحابه.. قالوا: يا رسول الله.. لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها..!! أشيء أمرت به؟ أو كان يوحى إليك؟

فقال ﷺ: «كل ذلك لم يكن.. ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[1].

ودخل ﷺ يومًا على أم هانئ بنت أبي طالب -رضي الله عنها- وكان جائعًا.

فقال ﷺ: «هل عندك من طعام نأكله؟».فقالت: ليس عندي إلا كسر يابسة.. وإني لأستحي أن أقدمها إليك.**فقال: «هلمي بهن»**. فأتته بهن.. فكسرهن في ماء.. وجاءت بملح فذرته عليه.. فجعل ﷺ..يأكل هذا الخبز مخلوطًا بالماء.. فالتفت إلى أم هانئ وقال: **«هل ما إدام؟»**.

فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خلٍّ. **فقال: «هلمي به»**.. فجاءته به.. فصبه على طعامهم.. فأكل منه.. ثم حمد الله ﷻ.. ثم قال: **«نعم الإدام الخل»**[2].

نعم.. كان يعيش حياته كما هي.. يتقبل الأمور بحسب ما هي عليه.

وفي رحلة الحج خرج ﷺ مع أصحابه.. فنزلوا منزلًا.. فذهب النبي ﷺ فقضى حاجته.. ثم جاء إلى حوض ماء فتوضأ منه.. ثم قام ﷺ يصلي.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (صحيح).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وأصله في الصحيحين.

جاء جابر بن عبد الله ﷺ فوقف عن يسار رسول الله ﷺ وكبر مصليًا معه.. فأخذ النبي ﷺ بيده فأداره بهدوء حتى أقامه عن يمينه.. ومضيا في صلاتهما.

فجاء جبار بن صخر ﷺ فتوضأ.. ثم أقبل فقام عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ ﷺ بأيديهما جميعًا.. -بكل هدوء- فدفعهما حتى أقامهما خلفه[1].

وفي يوم كان ﷺ جالسًا.. فأقبلت إليه أم قيس بنت محصن بابن لها حديث الولادة؛ ليحنكه ويدعو له. فأخذه ﷺ فجعله في حجره.. فلم يلبث الصغير أن بال في حجر النبي ﷺ وبلل ثيابه بالبول. فلم يزد النبيُّ ﷺ على أن دعا بماء فنضحه على أثر البول[2].. وانتهى الأمر.

لم يغضب ولم يعبس.. فلماذا نعذب نحن أنفسنا ونصنع من الحبة قبة.. ليس شرطًا أن يكون كل ما يقع حولك مرضيًا لك ١٠٠٪..

وإن تجـد عيبًـا فسـد الخلـلا ... جـل مـن لا عيـب فيـه وعـلا

بعض الناس يحرق أعصابه.. ويكبر القضايا.. وبعض الآباء والأمهات كذلك.. وربما بعض المدرسين والمدرسات كذلك.

ولا تفتش عن الأخطاء الخفية.. وكن سمحًا في قبول أعذار الآخرين.. خاصةً من يعتذرون إليك حفاظًا على محبتهم معك.. لا لأجل مصالح شخصية..

اقبل معاذير مَن يأتيك معتذرًا ... إن بـرَّ عنـدك فـيما قـال أو فجـرا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

فقـد أطاعـك مـن يرضـيك وقـد أجلـك مـن يعصـيك مستترا

وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد رقي منبره يومًا.. وخطب بأصحابه فرفع صوته حتى أسمع النساء العواتق في خدورها داخل بيوتهن..!! ترى ماذا قال؟!

قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين.. ولا تتبعوا عوراتهم.. فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته.. ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»(١).

نعم لا تتصيد الأخطاء وتَّتبع العورات.. كن سمحًا.

كان ﷺ حريصًا على عدم إثارة المشكلات أصلًا.

في مجلس هادئ مع بعض أصحابه.. صفت فيه النفوس.. واطمأنت القلوب.. قال ﷺ لأصحابه: **«ألا لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئًا.. فإني أحب أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصدر»**(٢).

لا تعذب نفسك

لا تثر على نفسك الغبار ما دام ساكنًا

وإن ثار فسد أنفك بكمك.. واستمتع بحياتك.

---

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي، وفيه مقال.

اعترف بخطئك.. لا تكابر

كثير من المشاكل التي ربما تستمر العداوة بسببها سنة وسنتين.. وربما العمر كله.. يكون حلها أن يقول أحدهما للآخر: أنا أخطأت وأعتذر..

موعد أخلفته.

أو مزحة ثقيلة.

أو كلمة نابية..

سارع إلى إطفاء شرارها قبل أن تضطرم النار بسببها.. أنا آسف.. حقك علي.. ما يصير خاطرك إلا طيب.

ما أجمل أن نتواضع ونسمع الناس هذه العبارات.

وقعت خصومة بين أبي ذر وبلال -رضي الله عنهما- وهما صحابيان.. لكنهما بشر..

فغضب أبو ذر وقال لبلال: يا ابن السوداء.

فشكاه بلال إلى رسول الله ﷺ.

فدعاه النبي ﷺ فقال: «**أسابت فلانًا؟**».

قال: نعم.

قال: «**فهل ذكرت أمه؟**».

قال: من يسابب الرجال.. ذكر أبوه وأمه يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**».

فتغير أبو ذر.. وقال: على ساعتي من الكِبر..؟

قال: نعم.

ثم أعطاه النبي ﷺ منهجًا يتعامل به مع من هُمْ أقل منه فقال: «**إنما هم إخوانكم.. جعلهم الله تحت أيديكم.. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه.. وليلبسه من لباسه.. ولا يكلفه ما يغلبه.. فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه**».

فماذا فعل أبو ذر ﷺ؟!.

مضى أبو ذر ﷺ حتى لقي بلالًا.. ثم اعتذر.. وقعد على الأرض بين يدي بلال.. ثم جعل يقرب من الأرض حتى وضع خده على التراب، وقال: يا بلال.. طأ برجلك على خدي[1].

هكذا كان الصحابة ﷺ في حرصهم على إطفاء نار العداوة قبل اشتعالها.. فإن اشتعلت منعوها من الامتداد.

وقعت بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- محاورة.. فأغضب أبو بكر عمر.. فانصرف عنه عمر مغضبًا.. فلما رأى أبو بكر ذلك ندم وخشي أن يتطور الأمر.. فانطلق يتبع عمر ويقول: استغفر لي يا عمر، وعمر لا يلتفت إليه.

وأبو بكر يعتذر ويمشي وراءه حتى وصل عمر إلى بيته وأغلق بابه في وجهه.. فمضى أبو بكر إلى رسوله الله ﷺ.. فلما رآه النبي ﷺ مقبلًا من بعيد رآه متغيرًا فقال: «أما صاحبكم هذا فقد غامر».

جلس أبو بكر ساكتًا.. فلم تمض لحظات حتى ندم عمر على ما كان منه!!

---

(١) رواه مسلم مختصرًا.

ﷺكانت قلوبهم بيضاء.

عمر أقبل إلى مجلس رسول الله ﷺ.. فسلَّم وجلس بجانب النبي ﷺ.. وقصَّ عليه الخبر.. وحكى كيف أعرض عن أبي بكر، ولم يقبل اعتذاره!! فغضب رسول الله ﷺ.. فلما رأى أبو بكر غضبه جعل يقول: والله يا رسول الله.. لأنا كنت أظلم.. أنا كنت أظلم.. وجعل يدافع عن عمر ويعتذر له.

فقال ﷺ: «هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا.. فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت»[1].

وانتبه أن تكون ممن يصلح الناس ويفسد نفسه.. يدور بها كما يدور الحمار في الرحى.

فإذا كنت في موضع توجيه أو اقتداء.. كمدرس مع طلابه.. وأب مع أولاده.. أو أم.. فأعلم أنك هنا تحت عين الزبون.. والكل يراقبك.. فاحرص على الانضباط قدر المستطاع.. وكذلك الزوجان مع بعضهما.

وزع عمر ﷺ ثيابًا على الناس.. فنال كل واحد قطعة قماش تكفيه إزارًا أو رداءً. ثم قام يخطب الناس يوم الجمعة.. فقال في أول خطبته: إن الله كتب لي عليكم السمع والطاعة.

فقام رجل من القوم وقال: لا سمع لك ولا طاعة. **فقال عمر**: لمه؟!

قال: لأنك قسمت علينا ثوبًا ثوبًا.. وأنت تلبس ثوبين جديدين أي: إزارك ورداؤك.. كلاهما نلحظ أنه جديد.

---

(١) رواه البخاري.

فتلفت عمر في المصلين كأنه يبحث عن أحد.. حتى وقعت عينه على ابنه عبد الله بن عمر فقال: قم يا عبد الله بن عمر.. فقام.

فقال: ألست دفعت لي ثوبك لأخطب به؟ **قال:** نعم.

فقعد الرجل وقال: الآن نسمع ونطيع. وانتهت المشكلة.

عزيزي لا تعجل عليَّ.. أنا معك أن أسلوب الرجل لما اعترض على عمر غير مناسب.. لكن العجب هو من قدرة عمر على استيعاب الموقف وإطفاء النار. وأخيرًا.. إذا أردت أن يقبل الناس منك ملاحظتك ونصحك أيًّا كانوا.. زوجة.. ولدًا.. أختًا.. فكن أنت متقبلًا للنصح أصلًا.. غير متكبر عنه.

كان كثيرًا ما يقول لها: اعتن بأولادك أكثر.. اطبخي جيدًا.. إلى متى أقول: رتبي غرفة النوم.. وكانت تردد دائمًا بكل أريحية: أبشر.. إن شاء الله.. أمرك.

قالت له يومًا ناصحةً: الأولاد في أيام اختبارات ويحتاجون وجودك بينهم.. فلا تتأخر إذا خرجت لأصحابك.

فما كان يسمع منها ذلك حتى صاح بها: لست متفرغًا لهم.. أتأخر أو لا أتأخر.. ليس شغلك.. ليس لك دخل فيَّ!!

فبالله عليك قل لي: كيف تريدها أن تقبل منه نصحًا بعد ذلك!!

وأخيرًا.. الذكي هو الذي يسدُّ الفتحات في جداره حتى لا يستطيع الناس أن يسترقوا النظر.. بمعنى: ألا تفتح مجالًا لشكِّ الناس فيك.

أذكر أن إحدى الجمعيات الدعوية استدعت مجموعة من الدعاة لعقد محاضرات في ألبانيا.. كان رئيس المراكز الدعوية في ألبانيا حاضرًا الاجتماع.

نظرنا إليه.. فإذا ليس على خديه شعرة واحدة!!

فنظر بعضنا إلى بعض مستغربًا..!! فقد جرت العادة أن يكون الداعية ملتزمًا بهدي رسول الله ﷺ معفيًا لحيته.. ولو بعضها.. فكيف برئيس الدعاة؟!

فلما ابتدأ الاجتماع قال لنا ضاحكًا: يا جماعة.. أنا أمرد.. أصلًا لا ينبت لي لحية.. لا تعملوا لي محاضرة إذًا انتهينا.. تبسمنا وشكرناه.

وإن شئت فارحل معي إلى المدينة.

وانظر إلى رسول الله ﷺ وقد كان معتكفًا في مسجده في ليالي رمضان.

أقبلت إليه زوجه صفية بنت حيي -رضي الله عنها- زائرةً.. فمكثت عنده قليلًا.. ثم قامت لتعود لبيتها.. فلم يشأ النبي ﷺ أن تعود في ظلمة الليل وحدها.. فقام معها ليوصلها.. مشى معها في الطريق.. فمرَّ به رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ والمرأة معه.. أسرعا!! **فقال ﷺ لهما: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي»**.

فقالا: سبحان الله يا رسول الله.. أي: أيعقل أن نشكَّ فيك أن يكون معك امرأة أجنبية عنك..!! **فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا.. أو قال شيئًا»**[1].

شجاعة

ليست الشجاعة أن تصرَّ على خطئك

وإنما أن تعترف به.. ولا تكرره مرة أخرى.

(١) متفق عليه.

مفاتيح الأخطاء!

التعامل مع الأخطاء فن.. فلكلِّ باب مفتاح.. وللقلوب دروب.

إذا وقع أحد في خطأ كبير وانتشر خبره في الناس.. وبدأ الناس يترقبون ماذا تفعل؟ فاشغلهم بشيء حتى يكون عندك وقت لدراسة الأمر.. حتى لا يتجرأ أحد على مثل فعله.. أو يتعودوا على مثل هذا الخطأ.

خرج ﷺ مع أصحابه في غزوة بني المصطلق.. وأثناء رجوعهم نزلوا يستريحون.. فأرسل المهاجرون غلامًا لهم اسمه: جهجاه بن مسعود؛ ليستقي لهم من البئر ماءً.. وأرسل الأنصار غلامًا لهم اسمه: سنان بن وبر الجهني؛ ليستقي لهم أيضًا..

فازدحم الغلامان على الماء.. فكسع أحدهما صاحبه.. أي: ضربه على مؤخرته.. فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار.

وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فثار الأنصار وثار المهاجرون واشتد الخلاف.. والقوم قادمون من حرب ولا يزالون بسلاحهم!!

فانطلق ﷺ حتى أطفأ ما بينهم.. فتحركت الأفاعي.. غضب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وعنده رهط من قومه الأنصار.

فقال: أوقد فعلوها!! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا.. والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك.. وجوع كلبك يتبعك!! **ثم قال الخبيث**: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم.. وقاسمتموهم أموالكم.. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

وجعل الخبيث يهدد ويتوعد.. والذين عنده من أنصاره المنافقين يؤيدونه ويشجعونه.

كان من بين الجالسين غلام صغير اسمه زيد بن أرقم.. فمضى إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.. وكان عمر بن الخطاب ﷺ جالسًا عند النبي ﷺ فثار.. كيف يجرؤ هذا المنافق على رسول الله ﷺ بهذا الأسلوب القبيح.

رأى عمر أن قتل الأفعى أولى من قطع ذيلها.. ورأى أن قتل ابن سلول يقضي على الفتنة في مهدها.. ولكن أن يقتله رجل من قومه الأنصار أسلم من أن يقتله رجل من المهاجرين.

فقال عمر: يا رسول الله.. مر به عباد بن بشر الأنصاري فليقتله.

لكن رسول الله ﷺ كان أحكم.. فهم قادمون من حرب.. والناس بسلاحهم.. والنفوس مشحونة.. وليس من المناسب إثارتهم أكثر.

فقال ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟! لا يا عمر.. ولكن آذن الناس بالرحيل».

كان الناس قد نزلوا للتو واستظلوا.. فكيف يأمرهم بالرحيل في شدة الحر والشمس.. ولم تكن عادته ﷺ أن يرتحل في شدة الحر.

ارتحل الناس.. وبلغ عبد الله بن سلول أن رسول الله ﷺ أخبره زيد بن أرقم بما سمع منه.

فأقبل ابن سلول إلى رسول الله ﷺ وجعل يحلف بالله ما قلت ولا

تكلمت به.. كذب عليَّ الغلام.. وكان ابن سلول رئيسًا في قومه شريفًا عظيمًا.

فقال الأنصار: يا رسول الله.. عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه.. ولم يحفظ ما قال الرجل.. جعلوا يدافعون عن ابن سلول.

والنبيُّ ﷺ يسير على دابته لا يلتفت إلى أحد.. فأقبل إليه سيد من سادة الأنصار.. أسيد بن حضير.. فحيَّاه بتحية النبوة وسلم عليه.. وقال: يا رسول الله.. والله لقد رحت في ساعة منكرة.. ما كنت تروح في مثلها!!

فالتفت إليه ﷺ وقال: «**أوما بلغك ما قال صاحبكم؟**». **قال:** أي صاحب يا رسول الله؟ **قال:** «**عبد الله بن أبي**». **قال:** وما قال؟ **قال:** «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل**».

فثار أسيد وقال: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت.. هو والله الذليل وأنت العزيز.

ثم قال أسيد مخففًا على رسول الله ﷺ: يا رسول الله.. ارفق به.. لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه.. فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا.

فسكت النبي ﷺ ومضى براحلته.. والناس منهم من يجمع متاعه.. ومنهم من يرحل راحلته.. وجعلت الحادثة تنتشر.. وصارت أحاديث الجيش. لماذا ارتحلنا في هذا الوقت؟.

ماذا قال؟ كيف تعامل معه؟ صدق ابن سلول.. لا بل كذب.

وبدأت الشائعات تزيد.. والكلام يزاد فيه وينقص.

واضطرب الجيش وهم في طريقهم من قتال.. ويمرون بقبائل أعداء يتربصون بهم.

فشعر ﷺ أن الجيش بدأ ينقسم.. فأراد أن يشغلهم عن المشكلة وعن النقاش فيها؛ لأنهم يزيدون أوراها.. ويشعلون الفتنة بين المهاجرين والأنصار.. وصار الناس يترقبون متى ينزلون حتى يجتمع بعضهم إلى بعض، ويتحدثوا في الأمر، فمشى ﷺ بالناس يومهم ذلك والشمس فوقهم!!

ومشى ومشى حتى غابت الشمس.. فظنَّ الناس أنهم سينزلون للصلاة ويرتاحون.. فلم ينزل إلا دقائق معدودات.. صلوا ثم أمرهم فارتحلوا.. وواصل المشي ليلتهم حتى أصبح.

ثم نزل فصلى الفجر.. ثم أمرهم فارتحلوا.. ومشوا صباحهم حتى تعبوا وآذتهم الشمس.. فلما شعر أن الإرهاق والتعب سيطر عليهم.. فليس فيهم جهد للكلام.. أمرهم فنزلوا فما كادت أجسادهم تمس الأرض حتى وقعوا نيامًا.. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عما حدث.

ثم أيقظهم وارتحل بهم.. وواصل حتى دخل المدينة.. وتفرَّق الناس في بيوتهم عند أهليهم.. وأنزل الله تعالى سورة المنافقين:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلله خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ ۞ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٧، ٨].

فقرأها رسول الله ﷺ.. ثم أخذ بأذن الغلام زيد بن أرقم.. وقال: «**هذا الذي أوفى لله بإذنه**». وبدأ الناس يسبون ابن سلول ويلومونه.. فالتفت ﷺ إلى عمر وقال: «**أرأيت يا عمر لو قتلته يوم ذكرت ذلك لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**».

ثم سكت عنه ﷺ.. فلم يتعرض له بشيء.. وأحيانًا إذا وقع الخطأ أمام الناس قد تحتاج أن تنكر عليه بأسلوب مناسب.. وإن كان أمام الناس.

بينما رسول الله ﷺ جالسًا يومًا مع أصحابه.. وكانوا في أيام قحط واحتباس مطر وقلة زرع. إذا أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس.. وضاعت العيال.. ونهكت الأموال.. وهلكت الأنعام.. فاستسق الله لنا.. فإنا نستشفع بك على الله.. ونستشفع بالله عليك.

فتغيَّر رسول الله ﷺ.. لما سمعه يقول: نستشفع بالله عليك!!

فالشفاعة والواسطة تكون من الأدنى إلى الأعلى.. فلا يجوز أن يقال: إن الله يشفع عند خلقه.. بل يأمرهم جلَّ جلاله؛ لأنه أعلى وأرفع.

فقال ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول؟!».

ثم جعل ﷺ يقدس الله.. ويردد..**«سبحان الله.. سبحان الله»**.

فما زال يسبِّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه.

ثم قال: «ويحك!! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه.. شأن الله أعظم من ذلك.. ويحك!! أتدري ما الله؟!.

إن عرشه على سمواته لهكذا.. وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»[1].

ولكن إذا وقع الخطأ من الشخص لوحده.. فكيف يكون التعامل معه؟

أتى رسول الله ﷺ إلى بيت عائشة -رضي الله عنها- في ليلتها.. فوضع نعليه من رجليه.. ووضع رداءه.. واضطجع على فراشه.. فلبث كذلك حتى

---

(١) رواه أبو داود.

ظن أن عائشة قد رقدت..

فقام من على فراشه.. ولبس رداءه ونعليه رويدًا.. ثم فتح الباب رويدًا وخرج.. وأغلقه رويدًا.

فلما رأت عائشة ذلك دخلتها غيرة النساء.. وخشيت أنه ذهب إلى بعضه نسائه.. فقامت ولبست درعها وخمارها.. وانطلقت في إثره تمشي وراءه دون أن يشعر بها.

انطلق ﷺ يمشي في ظلمة الليل حتى جاء مقبرة البقيع.. فوقف عندها ينظر إلى قبور أصحابه الذين عاشوا عابدين.. وماتوا مجاهدين.. واجتمعوا تحت الثرى.. ليرضى عنهم من يعلم السر وأخفى.

أخذ ﷺ ينظر إلى قبورهم.. ويتذكر أحوالهم.. ثم رفع يديه فدعا لهم..

ثم أخذ ينظر إلى القبور.. ثم رفع يديه ثانية فدعا لهم.. ثم لبث مليًّا.. ثم رفعها فاستغفر لهم.. وأطال القيام.. وعائشة تنظر إليه من بعيد.. ثم التفت ﷺ وراءه راجعًا.

فلما رأت ذلك عائشة انحرفت إلى ورائها راجعة.. خشية أن يشعر بها.. فأسرع ﷺ مشيه.. فأسرعت عائشة.. فهرول.. فهرولت.. فأحضر – أي: جرى مسرعًا – فاحضرت وجرت.. حتى سبقته إلى البيت فدخلت.. ونزعت درعها وخمارها.

وأقبلت إلى فراشها فاضطجعت عليه كهيئة النائمة.. ونفسها يتردد في صدرها.

فدخل ﷺ البيت.. فسمع صوت نفسها.. فقال: «**ما لك يا عائش.. حشيا رابية؟!**».

قالت: لا شيء! **قال:** «**لتخبرني.. أو ليخبرني اللطيف الخبير**». فأخبرته بالخبر..وأنها غارت عليه فانطلقت تنظر أين تذهب. **فقال** ﷺ: «**أنت الذي رأيت أمامي؟**». **قالت:** نعم. فدفعها في صدرها دفعةً ثم قال: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله**».. **فقالت عائشة:** مهما يكتم الناس يعلمه الله ﷻ؟ **قال:** «**نعم**».

ثم قال ﷺ مبينًا لها خبر خروجه: «**إن جبريل** عليه السلام **أتاني حين رأيت.. ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك.. فناداني.. فأخفى منك فأجبته وأخفيته منك وظننت أنك قد رقدت.. فكرهت أن أوقظك.. وخشيت أن تستوحشي فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم**»[1].

نعم.. كان ﷺ سهلًا لينًا لا يكبر الأخطاء.

بل كان يرددها في الناس ويقول: كما روى مسلم: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة.. إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**».

أي: لا يبغضها بغضًا تامًا لأجل خلق عندها.. أو طبع يلازمها.. بل يغفر سيئتها لحسنتها.. فإذا رأى خطأها تذكر صوابها.. وإذا شاهد سوءها تذكر حسنها.. ويتغاضى عما يكرهه من خلقها.. وما لا يرضاه من تعاملها.

إضاءة

ليس اللوم على من لا يقبل النصيحة

وإنما على من يقدمها بأسلوب غير مناسب.

---

(١) رواه النسائي بسند جيد.

فكـــك الحزمـــة!!

إذا كان الخطأ واقعًا من مجموعة فالأصل أن تنصحهم وهم مجتمعون.. ولكن قد تحتاج أحيانًا أن تفكك الحزمة.. أعني: أن تكلم كل واحد على حدة وتنصحه.

مثال: مررت بمجلس منزلكم.. وسمعت أخاك يتحدث مع أصدقائه وكانوا ضيوفًا عنده – ويخططون أن يسافروا إلى بلد كذا.. وهذا البلد لا يسلم من يذهب إليه غالبًا من التعرض للمحرمات الكبار. أردت أن تنصح.. لكن.. كيف؟!

من الأساليب أن تدخل عليهم وتنصحهم بكلمتين وتخرج.. لكن نتيجة ذلك قد لا تكون ناجحة كثيرًا.. فما رأيك أن تفكك الحزمة.. وتكسر كل عود على حدة.. كيف؟!

إذا تفرقوا اجلس مع من تظنه أعقلهم.. وقل: يا فلان.. بلغني أنكم ستسافرون.. وأنت أعقلهم.. وتعلم أن هذا البلد لا يسلم المسافر إليه من البلايا والفتن.. وقد يعود مريضًا أو مبتلى.

فما رأيك أن تكسب أجرهم.. وتقترح عليهم أن يسافروا إلى بلد آخر.. تستمتعون فيه بالأنهار والبحار واللعب والأنس من غير معصية.

لا شكَّ أنه إذا سمع منك هذا الكلام بالأسلوب الحسن.. سيقل حماسه إلى النصف.. اذهب إلى آخر وقل له مثل ذلك.. ثم قل للثالث مثله.. دون أن يشعر كل منهم بحديثك لصاحبه.. فتجد أنهم إذا اجتمعوا وتشجع أحدهم واقترح تغيير البلد وجد من يعاونه.. وتكون قضيت على المنكر بأسلوب مناسب.

أو لو اكتشفت يومًا أن أولادك يجتمعون في غرفة أحدهم وينظرون إلى شريط فيديو خليع.. أو مقاطع (بلوتوث) فيها صور خليعة.. أو نحو ذلك.

فقد يكون من المناسب أن تنصح كلًّا منهم على حدة؛ لكيلا تأخذهم العزة بالإثم.. هل لهذا شاهد من السيرة؟

نعم.. لما اشتد الخلاف بين رسول الله ﷺ وبين قريش اجتمعت قريش وقاطعت النبي وجميع أقاربه من بني هاشم.. وكتبت صحيفة أن بني هاشم لا يشترى منهم ولا يباع لهم.. ولا يزوجون ولا يتزوج منهم.

وحبس النبي ﷺ مع أصحابه في واد غير ذي زرع.. واشتدت الكربة على الصحابة حتى أكلوا الشجر.

بل مضى أحدهم يومًا ليبول.. فسمع صوتًا تحته.. فنظر فإذا قطعة من جلد بعير.. فأخذها وغسلها وشواها بالنار.. ثم فتتها وخلطها بالماء.. وجعل يتمون بها ثلاثة أيام!!

ومضت الشهور عصيبة على بني هاشم والمسلمين؛ فقال ﷺ يومًا لعمه أبي طالب، وكان محبوسًا معهم في الشعب: «**يا عم، إنَّ الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش.. فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها.. ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان**».

أي: إن دابة الأرض أكلت صحيفة قريش؛ فلم يبق منها إلا عبارة: باسمك اللهم!! فعجب أبو طالب وقال: أربك أخبرك بهذا؟ **قال**: «**نعم**». **قال**: فوالله ما يدخل عليك أحد حتى أخبر قريشًا بذلك. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش.. إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا.. فهلم صحيفتكم.. فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها. وإن كان

كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي فافعلوا به ما شئتم.

فقال القوم: قد رضينا.. فتعاقدوا على ذلك.. ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ.. فزادهم ذلك شرًّا.. وظلَّ بنو هاشم وبنو المطلب في واديهم حتى كادوا أن يهلكوا.. وكان من كفار قريش رجال رحماء.. منهم: هشام بن عمرو.. وكان ذا شرف في قومه.. فكان يأتي بالبعير قد حمله طعامًا.. وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلًا.. حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم.

ومضت الأيام ورأى هشام أنه لا طاقة له بإطعامهم كل ليلة.. وهم كثير.. فقرر أن يسعى لنقض الصحيفة الظالمة.. ولكن أنَّى له ذلك وقريش قد أجمعت عليها.. فاتبع أسلوب تفكيك الحزمة.. فماذا فعل؟

مشى إلى زهير بن أبي أمية.. وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب.. فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباع لهم ولا يبتاع منهم.. ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟! ما إني أحلف بالله لو كان أخوال أبي الحكم بن هاشم.. يعني أبا جهل.. وكان أشدهم عداوة للمؤمنين وتعصبًا للمقاطعة – ما تركهم على هذا الحال.

قال زهير: ويحك يا هشام.. فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها.

قال هشام: قد وجدت رجلًا. **قال:** من هو؟ **قال:** أنا. **قال زهير:** أبغنا ثالثًا. **قال هشام:** فاكتم عني. فذهب إلى المطعم بن عدي وكان رجلًا عاقلًا.. فقال له: يا مطعم.. أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف.. وأنت شاهد على ذلك.. موافق لقريش فيه؟!

قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. **قال:** وجدت لك ثانيًا. **قال: من؟ قال:** أنا. **قال:** أبغنا ثالثًا. **قال:** قد فعلت. **قال:** زهير بن أبي أمية. **قال:** أبغنا رابعًا. **قال:** فاكتم عني.. فذهب إلى أبي البختري بن هشام.. فقال له ما قال لصاحبيه.. فتحمس لذلك وقال: وهل تجد أحدًا يعين على هذا؟ قال: نعم.

قال: من هو؟ **قال:** زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. **قال:** أبغنا خامسًا. فذهب هشام إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم. **فقال له:** وهل على هذا الأمر تدعوني إليه من أحد. **قال:** نعم.. فلان وفلان.. فاتفقوا جميعًا على هذا الرأي.. وتواعدوا عند «حطم الحجون» ليلًا بأعلى مكة.. فاجتمعوا هنالك. وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها. **وقال زهير:** أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم.. ثم تقوموا أنتم فتتكلمون.

فلما أصبحوا غدوا إلى مجالسهم حول الكعبة؛ حيث يجتمع الناس ويتبايعون.. وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة.. فطاف بالبيت سبعًا.. ثم أقبل على الناس، وصرخ يا أهل مكة أنأكل الطعام؟! ونلبس الثياب؟! وبنو هاشم هلكى!! لا يباع لهم ولا يبتاع منهم.. والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة. فصرخ أبو جهل.. وكان في مجلس مع أصحابه.. قال: كذبت.. والله لا تشق..

فقام زمعة بن الأسود وصخر: بل أنت والله أكذب.. ما رضينا كتابتها حين كتبت.. فالتفت إليه أبو جهل ليرد عليه.. ففاجأه البختري قائمًا يقول: صدق زمعة.. لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقر به.

فالتفت أبو جهل إلى البختري.. فإذا بالمطعم بن عدى يصرخ: صدق زمعة..

صدقتما وكذب من قال غير ذلك.. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقام هشام بن عمرو وقال مثل قولهم.. فتحير أبو جهل.. وسكت هنيه ثم قال: هذا أمر قضي بليل.. تشور فيه بغير هذا المكان. ثم انطلق المطعم بن عدي إلى الكعبة.. وتوجه إلى الصحيفة ليشقها.. فوجد دابة الأرض قد أكلتها.. إلا باسمك اللهم.

كن ذكيًا

الطبيب الحاذق يتلمس أولا بأصابعه فيختار الموضع المناسب قبل غرز الإبرة.

جلـــد الـــذات!!

من الذكريات: أنَّا خرجنا مرةً للبر.. وكان معنا أبو خالد.. صديق لنا نظره ضعيف جدًّا.. كنا نخدمه.. نقرِّب إليه الماء.. التمر.. القهوة.. وهو يردد: لا بدَّ أن أساعدكم.. أريد أن أشتغل معكم.. كلفوني بأي عمل.. ونحن ننهاه عن ذلك.

ذبحنا شاةً معنا.. وقطعناها ووضعناها في القدر.. تمهيدًا لطبخها.. ولم نشعل النار بعد.. وانشغلنا بنصب الخيمة وترتيب الأغراض.

تحركت الشهامة في أبي خالد – ويا ليتها لم تفعل – فقام وتوجه إلى القدر.. فرأى اللحم.. فأدرك أن أول شيء سنفعله هو أن نصب الماء على اللحم. فتوجه إلى الأغراض في السيارة.. وجعل يتلمس الأغراض.. مولد كهرباء.. أسلاك.. مصابيح.. أربع مطارات بلاستيك فيها ماء.. وبنزين.. وأغراض أخرى.. التقط أقرب مطارة إليه.. وأقبل بها مبتهجًا إلى القدر.. وأفرغ نصفها فيه.

لمحه أحدنا فصرخ به.. لا.. لا.. أبو خالد.. وهو يردد: خلوني أشتغل.. خلوني.. فسحبنا المطارة منه فورًا.. وغرقنا في الضحك الذي يغالبه البكاء.

لأننا اكتشفنا أنها مطارة البنزين، وليست مطارة الماء..!! وتغدينا على خبز وشاي.. لم تفسد الرحلة.. بل كانت من أمتع الرحلات.. ولماذا نعذب أنفسنا بأمر قد انتهى.

وأذكر أيضًا: لما كنت في الثانوية خرجت مع بعض الزملاء في رحلة.

تعطلت بطارية إحدى السيارات.. أقبلنا بسيارة أخرى وأوقفناها أمامها

لنوصل ببطاريتها البطارية المتعطلة.

أقبل طارق ووقف بين السيارتين وشبك الأسلاك في بطارية السيارة الأولى ثم شبكها في البطارية المتعطلة.. ثم أشار لأحد الشباب.. شغل السيارة.. ركب صاحبنا.. وكان ناقل الحركة (القير) على رقم واحد.. فما إن شغل السيارة حتى قفزت السيارة إلى الأمام وصكت ركبتي طارق بين صدامي السيارتين.. ووقع على الأرض مصابًا.. وصاحبنا في السيارة يردد: أشغل مرة ثانية؟!!

أبعدنا السيارتين.. وساعدنا طارق على المشي.. كان يعرج ويتألم من ركبتيه بشدة.. لكنه أعجبني أنه لم يزد ألمه بصراخ أو سب أو توبيخ.. بل ابتسم وأظهر الرضا.

وما فائدة الصراخ والأمر قد انتهى.. وصاحبنا أدرك خطأه.

إذا أردت أن تستمتع بحياتك فاعمل بهذه القاعدة.

لا تهتم بصغائر الأمور.

نحن أحيانًا نعذب أنفسنا ونجلدها.. ونضيق ونتألم.. والألم لا يحل المشكلة.. **افرض أنك** دخلت إلى حفل عرس وقد لبست ثوبًا حسنًا.. ووضعت فوق رأسك غترة وعقالًا.. حتى صرت أجمل من العريس!!

وبدأت تصافح الناس واحدًا واحدًا.. وفجأة أقبل طفل من ورائك وتعلق بطرف غترتك.. وسحبها فسقطت الغترة والعقال والطاقية.. وصار شكلك مضحكًا.. كيف تتصرف؟

كثير منا يتعامل مع هذه المشكلة بأسلوب هو ليس حلًا لها.. يركض وراء الصغير.. يصرخ.. ويسب.. ويلعن.. والنتيجة أنه حقق ما كان يريده الطفل

من جذب انتباه وضجة.. وأضحك الناس عليه.. وربما صوره بعضهم وصار بلوتوثا يتناقلونه!!

أنت هنا – حقيقة – لا تعذب الطفل إنما تعذب نفسك.

أو افرض أنك لبست ثوبًا جديدًا ربما لم تسدد قيمته بعد.. وذهبت إلى شركة لتقدم عن وظيفة.. مررت بأحد الأبواب كان مدهونًا بالطلاء للتوّ.. وبجانبه لوحة تحذيرية لم تنتبه لها.

وفجأة مسحت نصف الطلاء بثوبك.. وصفق عامل الطلاء يصرخ بك سابًّا غضبًا.. كيف تتعامل مع هذه المشكلة؟ نحن في كثير من الأحيان أيضًا نتعامل معها بأسلوب ليس حلًّا لها.. نثور.. نسب العامل.. لِمَ لَمْ تضع لوحة واضحة؟ فيرد عليك بغضب.. وقد تكون النتيجة أن تتلطخ بتراب الأرض أكثر مما تلطخت بطلاء الباب!!

على رسلك.. هل تدري أنك بتصرفك هذا تعذب نفسك وتجلد ذاتك.

وقل مثل ذلك لو: تزينت وذهبت خاطبًا.. فمرت بك سيارة، وأنت خارج من البيت.. ورشت عليك من ماء كان مجتمعًا على الأرض.. هل ستعذب نفسك فتصرخ وتزعق بالسيارة وركابها.. وهي قد ولتك ظهرها؟

وكذلك لا داعي لأن نتذكر دائمًا الآلام التي مستنا في حياتنا.

محمد ﷺ مرت به لحظات حزينة في حياته.. حتى جلس يومًا مع زوجه الحنون عائشة –رضي الله عنها– في لحظة ساكنة.. فسألته: هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟

مرت تلك المعركة في ذاكرة النبي ﷺ.. آه ما أقصى ذلك اليوم.

يوم قتل فيه عمه حمزة، وهو من أحب الناس إليه..

يوم وقف ينظر إلى عمه وقرة عينه وقد جدع أنفه.. وقطعت أذناه.. وشق بطنه.. ومزق جسده.. يوم كسرت أسنانه ﷺ وجرح وجهه وسالت منه الدماء. يوم قتل أصحابه بين يديه.. يوم عاد ﷺ إلى المدينة وقد نقص سبعون من أصحابه.. فرأى النساء الأرامل والأطفال اليتامى يبحثون عن أحبابهم وآبائهم.. آآآه. فعلًا كان ذلك يومًا قاسيًا..

كانت عائشة تنتظر الجواب.. فقال ﷺ: «**ما لقيت من قومك كان أشد منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي.. ثم ذكر لها قصة استنصاره بأهل الطائف وتكذيبهم له.. ورمي سفهائهم له بالحجارة حتى أدموا قدميه**»[1].

ومع وجود هذه الآلام في تاريخ حياته ﷺ إلا أنه كان لا يسمح لها أن تنغص عليه استمتاعه بالحياة.. لا تستحق الالتفاف إليها.. وقد مضت آلامها، وبقيت حسناتها.

إذن لا تقتل نفسك بالهمِّ.. وكذلك لا تقتل الناس بالهمِّ واللوم.. نحن أحيانًا نتعامل مع بعض المشاكل بأساليب هي في الحقيقة ليست حلًّا لها.

كان الأحنف بن قيس سيد بني تميم.. ولم يكن ساد قومه بقوة جسد ولا كثرة مال، ولا ارتفاع نسب.. وإنما سادهم بالحلم والعقل.

حقد عليه قومه.. فأقبلوا إلى سفيه من سفهائهم وقالوا له: هذه ألف درهم على أن تذهب إلى سيد بني تميم.. الأحنف بن قيس.. فتلطمه على وجهه. مضى السفيه.. فإذا الأحنف جالس مع رجال محتبيًا بكل رزانة.. قد ضم ركبتيه إلى صدره.. وجعل يحدث قومه.. اقترب السفيه منه ودنا ودنا فلما وقف عنده مدَّ الأحنف إليه رأسه ظانًّا أنه سيسر إليه بشيء.

---

(١) تقدمت القصة كاملة.

فإذا بالسفيه يرفع يده ويلطم الأحنف على وجهه لطمة كادت تمزق خده!! نظر الأحنف إليه ولم يحل حبوته.. بل قال بكل هدوء: لماذا لطمتني؟!!

قال: قوم أعطوني ألف درهم على أن ألطم سيد بني تميم.

فقال الأحنف: آآآه.. ما صنعت شيئًا لست سيد بني تميم..!

قال: عجبًا!! فأين سيد بني تميم.

قال: هل ترى ذاك الرجل الجالس وحده.. وسيفه بجانبه؟

وأشار إلى رجل اسمه حارثة بن قدامة امتلأ غضبًا وغيظًا.. لو قسَّم غضبه على أمة لكفاهم.

قال: نعم أراه.. الجالس هناك؟!

قال: نعم.. فاذهب والطمه لطمة.. فذاك سيد بني تميم.

مضى الرجل إليه: واقترب من حارثة.. فإذا عينا حارثة تلتمع شررًا.. وقف السفيه عليه ورفع يده ولطمه على وجهه.. فما كادت يده تفارق خده حتى التقط حارثة سيفه وقطع يده..!!

وقديمًا قيل: الفائز هو الذي يضحك في النهاية!!

قناعة

التعامل مع المشكلة بأساليب ليست حلا لها

يعذبك.. ولا يحل المشكلة!!

مشاكل ليس لها حل

كم ترى من الناس غاضبًا، وهو يقود سيارته.. وربما ضرب بيديه على مقودها.. وردد: أووه دائمًا زحمة.. زحمة!!

أو قد تراه يمشي في الطريق.. ولا يحتمل أن يكلمه أحد.. بل متضايق أشد الضيق.. ويردد: أووف حرر شديد..!!

وربما كنت زميلًا له في مكتب واحد.. تبتلى برؤيته كل يوم.. ويشغلك كلما جلس.. «يا أخي العمل كثير.. أووه إلى متى ما يزيدون رواتبنا».

ويدخل عابسًا.. ويخرج ساخطًا.

وربما أكثر التشكي من آلام بدنه.. أو إعاقة ولده.

باختصار: لا بدَّ أن نقتنع جميعًا أننا تواجهنا في حياتنا مشاكل ليس لها حل.. فلا بدَّ أن نتعامل معها بأريحية..

قال: السماء كئيبة وتجهما ... قلت ابتسم يكفي التجهم في السما!
قال: الصبا ولَّى! فقلت له: ابتسم ... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما
قال: التي كانت سمائي في الهوى ... صارت نفسي في الغرام جهنما
خانت عهودي بعدما ملكتها ... قلبي فكيف أطيق أن أتبسما
قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها ... قضيت عمرك كله متألما
قال: العدى حولي علت صيحاتهم ... أأسر والأعداء حولي في الحمى؟
قلت: ابتسم لم يطلبوك بذمهم ... لو لم تكن منهم أجلَّ وأعظما!
قال: الليالي جرعتني علقمًا ... قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما

فلعـــل غـــيرك إن رآك مُـــرتمًا ... طـــرح الكآبـــة خلفـــه وتـــرنما

أتـــراك تغـــنم بـــالترنم درهمًـــا ... أم أنـــت تخسر بالبشاشـــة مغـــنما

فأضـــحك فـــإن الشـــهب تضـــحك ... مـــتلاطم ولـــذا نحـــب الأنجـــما[1]

نعم استمتع بحياتك.

انتبه أن تكون ظروفك مؤثرة على سلوكك.. في عملك.. أولادك.. زملائك.. فما ذنبهم أن يتعذبوا بأمور ليس هم طرفًا فيها.. ولا يملكون حلها؟

لا تجعلهم إذا رأوك.. أو ذكروك.. ذكروا معك الهم والحزن.. لذا نهى ﷺ عن النياحة على الميت.. والصراخ.. وشق الجيب.. وحلق الشعر.. و.. لماذا؟ لأن التعامل مع الموت يكون بتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه والدعاء له. أما الصراخ والعويل؛ فلا ينفع شيئًا.. سوى أنه يقلب متعة الحياة إلى أحزان.. مشى المعافى بن سليمان مع صاحب له.

فالتفت إليه صاحبه عابسًا وقال: ما أشد البرد اليوم؟

فقال المعافى: استدفأت الآن؟ **قال:** لا. **قال:** فماذا استفدت من الذم؟ لو سبَّحت لكان خيرًا لك.

ما أحسن فهمه وأحكمه.

عش حياتك

لا تنقب عن المشكلات.. ولا تدقق في صغائر الأمور.

وإنما استمتع بحياتك.

---

(١) أبيات لإيليا أبي ماضي من ديوانه ص٦٥٦.

لا تقتل نفسك بالهمِّ

كان سعد أحد طلابي في الجامعة.. غاب أسبوعًا كاملًا.. ثم لقيته فسألته: سلامات.. سعد..؟

قال: لا شيء.. كنت مشغولًا قليلًا.

كان الحزن واضحًا عليه.. قلت: ما الخبر؟

قال: كان ولدي مريضًا.. عنده تليف في الكبد.. وأصابه قبل أيام تسمم في الدم.. وتفاجأت أمس أن التسمم تسلل إلى الدماغ.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. اصبر.. واسأل الله أن يشفيه.. وإن قضى الله عليه بشيء.. فاسأل الله أن يجعله شافعًا لك يوم القيامة.

قال: شافع؟ يا شيخ.. الولد ليس صغيرًا.

قلت: كم عمره؟

قال: سبع عشرة سنة.

قلت: اسأل الله أن يشفيه.. ويبارك لك في إخوانه.

فخفض رأسه وقال: يا شيخ.. ليس له إخوان.. لم أُرزق بغير هذا الولد.. وقد أصابه ما ترى.

كان حاله مؤثرًا.. لكني تجلّدتُ، وقلت له: سعد.. بكل اختصار.. لا تقتل نفسك بالهمِّ.. لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

ثم خففت عنه مصابه وذهبت.. نعم لا تقتل نفسك بالهمِّ.. فالهم لا يخفف المصيبة.

أذكر أني قبل فترة.. ذهبت إلى المدينة النبوية.. التقيت بخالد.. قال لي: ما رأيك أن نزور الدكتور: عبد الله.

قلت: لماذا.. ما الخبر؟ **قال:** نعزيه. **قلت:** نعزيه؟!! **قال:** نعم.. ذهب ولده الكبير بالعائلة كلها لحضور حفل عرس في مدينة مجاورة.. وبقي هو في المدينة لارتباطه بالجامعة.

وفي أثناء عودتهم وقع لهم حادث مروع.. فأتوا جميعًا.. أحد عشر نفسًا!! كان الدكتور رجلًا صالحًا قد جاوز الخمسين.. لكنه على كل حال.. بشر.. له مشاعر وأحاسيس.. في صدره قلب.. وله عينان تبكيان.. ونفس تفرح وتحزن.

تلقى الخبر المفزع.. صلى عليهم.. ثم وسدهم في التراب بيديه.. أحد عشر نفسًا.

صار يطوف في بيته حيران.. يمر بألعاب متناثرة.. قد مضى عليها أيام لم تحرك.. لأن خلود وسارة اللتين كانتا تلعبان بها.. ماتتا.

يأوي إلى فراشه.. لم يرتب.. لأن أم صالح.. ماتت.

يمرُّ بدراجة ياسر.. لم تتحرك.. لأن الذي كان يقودها.. مات.

يدخل غرف ابنته الكبرى.. يرى حقائب عرسها مصفوفة.. وملابسها مفروشة على سريرها.. ماتت.. وهي ترتب ألوانها وتنسقها.

سبحان من صبره.. وثبت قلبه.. كان الضيوف يأتون.. معهم قهوتهم.. لأنه لا أحد عنده يخدم أو يعين.. العجيب أنك إذا رأيت الرجل في العزاء.. حسبت أنه أحد المعزِّين.. وأن المصاب غيره.

كان يردد.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لله ما أخذ وله ما أعطى.. وكل

شيء عنده بأجل مسمى.

وهذا هو قمة العقل.. فلو لم يفعل ذلك.. لمات همًّا.

أعرف أحد الناس أراه دائمًا سعيدًا.. وإذا تأملت حاله وجدت:

وظيفته متواضعة. بيته مستأجر ضيق.. إيجار. سيارته قديمة. أولاده كثيرون. ومع ذلك كان دائم الابتسامة.. محبوبًا.. يعيش حياته.

صحيح.. لا تقتل نفسك بالهمِّ.. ولا تكثر التشكي.. فيملَّك الناس.

كرجل عنده ولد معوق.. فيشغلك كلما رآك.. ولدي مريض.. ضائق صدري.. مسكين ولدي.

فتجد أنك تمل منه وتود لو تصرخ به قائلًا: يا أخي خلاص فهمنا.. خلاص فهمنا.

أو امرأة مع زوجها دائمًا تردد عليه: بيتنا قديم.. سيارتنا متهالكة.. ثيابي ليست على الموضة.

ما الفائدة من التشكي إلا بتجديد المواجع..

أفنيت يا مسكين عمرك بالتأوه والحزن

وظللت مكتوف اليدين تقول حاربني الزمن

إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن

إضاءة

عش حياتك بما بين يديك من معطيات.. لتسعد

أرضَ بما قسم الله لك

كنت في رحلة إلى أحد البلدان لإلقاء عدد من المحاضرات.

كان ذلك البلد مشهورًا بوجود مستشفى كبير للأمراض العقلية.. أو كما يسميه الناس «مستشفى المجانين».

ألقيت محاضرتين صباحًا.. وخرجت وقد بقي على أذان الظهر ساعة.

كان معي عبد العزيز.. رجل من أبرز الدعاة.. التفتُّ إليه ونحن في السيارة.. قلت: عبد العزيز.. هناك مكان أود أن أذهب إليه ما دام في الوقت متسع.

قال: أين؟ صاحبك الشيخ عبد الله.. مسافر.. والدكتور أحمد اتصلت به ولم يجب.. أو تريد أن نمرَّ بالمكتبة التراثية.. أو.

قلت: كلا.. بل: مستشفى الأمراض العقلية.

قال: المجانين!!

قلت: المجانين.

فضحك وقال مازحًا: لماذا.. تريد أن تتأكد من عقلك.

قلت: لا.. ولكن نستفيد.. نعتبر.. نعرف نعمة الله علينا.

سكت عبد العزيز يفكر في حالهم.. شعرت أنه حزين.

كان عبد العزيز عاطفيًّا أكثر من اللازم.. أخذني بسيارته إلى هناك.. أقبلنا على مبنى كالمغارة.. الأشجار تحيط به من كل جانب.. كانت الكآبة ظاهرة عليه.. قابلنا أحد الأطباء.. رحَّب بنا ثم أخذنا في جولة في المستشفى.. أخذ

الطبيب يحدثنا عن مآسيهم.. ثم قال: وليس الخبر كالمعاينة.

دلف بنا على أحد الممرات.. سمعت أصواتًا هنا وهناك.. كانت غرف المرضى موزعة على جانبي الممر.

مررنا بغرفة عن يميننا.. نظرت داخلها فإذا أكثر من عشرة أسرة فارغة.. إلا واحدًا منها قد انبطح عليه رجل ينتفض بيديه ورجليه.

التفت إلى الطبيب وسألته: ما هذا!!

قال: هذا مجنون.. ويصاب بنوبات صرع.. تصيبه كل خمس أو ست ساعات.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. منذ متى وهو على هذا الحال؟

قال: منذ أكثر من عشر سنوات.. كتمت عبرة في نفسي.. ومضيت ساكتًا.. بعد خطوات مشيناها.. مررنا على غرفة أخرى.. بابها مغلق.. وفي الباب فتحة يطل من خلالها رجل من الغرفة.. ويشير لنا إشارات غير مفهومة.

حاولت أن أسرق النظر داخل الغرفة.. فإذا جدرانها وأرضها باللون البني.. سألت الطبيب: ما هذا؟!!

قال: مجنون!!

شعرت أنه يسخر من سؤالي.. فقلت: أدري أنه مجنون.. لو كان عاقلًا لما رأيناه هنا.. لكن ما قصته؟

فقال: هذا الرجل إذا رأى جدارًا.. ثارت أعصابه وأقبل يضربه بيده.. وتارة يضربه برجله.. وأحيانًا برأسه.. فيومًا تتكسر أصابعه.. ويومًا تكسر رجله.. ويومًا يشج رأسه.. ويومًا.

ثم خفض الطبيب رأسه حزينًا.. وقال: ولم نستطع علاجه.. فحبسناه في غرفة كما ترى.. جدرانها وأرضها مبطنة بالإسفنج.. فيضرب كما يشاء.. ثم سكت الطبيب ومضى أمامنا ماشيًا.

أما أنا وصاحبي عبد العزيز.. فظللنا واقفين نتمتم: الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاك به.. ثم مضينا نسير بين غُرف المرضى.

حتى مررنا على غرفة ليس فيها أسرة.. إنما فيها أكثر من ثلاثين رجلًا.. كل واحد منهم على حال.

هذا يؤذن.. وهذا يغني.. وهذا يتلفت.. وهذا يرقص.

وإذا من بينهم ثلاثة قد أُجلسوا على كراسي.. وربطت أيديهم وأرجلهم.. وهم يتلفتون حولهم.. ويحاولون التفلت فلا يستطيعون.. تعجبت وسألت الطبيب: ما هؤلاء؟ ولماذا ربطتموهم دون الباقين؟

فقال: هؤلاء إذا رأوا شيئًا أمامهم اعتدوا عليه.. يكسرون النوافذ.. والمكيفات.. والأبواب.. لذلك نحن نربطهم على هذا الحال.. من الصباح إلى المساء.

قلت وأنا أدافع عبرتي: منذ متى وهم على هذا الحال؟

قال: هذا منذ عشر سنوات.. وهذا منذ سبع.. وهذا جديد.. لم يمض له إلا خمس سنين!!

خرجت من غرفتهم.. وأنا أتفكر في حالهم.. وأحمد الله الذي عافاني مما ابتلاهم.

سألته: أين باب الخروج من المستشفى؟

قال: بقي غرفة واحدة.. لعل فيها عبرة جديدة.. تعال.

وأخذ بيدي إلى غرفة كبيرة.. فتح الباب ودخل.. وجرني معه.. كان ما في الغرفة شبيهًا بما رأيته في غرفة سابقة.. مجموعة من المرضى.. كل منهم على حال.. راقص.. ونائم.. و.. و.. عجبًا ماذا أرى؟؟

رجل جاوز عمره الخمسين.. اشتعل رأسه شيبًا.. وجلس على الأرض القرفصاء.. قد جمع جسمه بعضه على بعض.. ينظر إلينا بعينين زائغتين.. يتلفت بفزع.. كل هذا طبيعي.

لكن الشيء الغريب الذي جعلني أفزع.. بل أثور.. هو أن الرجل كان عاريًا تمامًا ليس عليه من اللباس، ولا ما يستر العورة المغلظة!!

تغير وجهي.. وامتقع لوني.. والتفت إلى الطبيب فورًا.

فلما رأى حمرة عيني.. قال لي: هدِّئ من غضبك.. سأشرح لك حاله.. هذا الرجل كلما ألبسناه ثوبًا عضه بأسنانه وقطعه.. وحاول بلعه.. وقد نُلْبسه في اليوم الواحد أكثر من عشرة ثياب.. وكلها على مثل هذا الحال.. فالرجل لا يتحمّل أيَّ قطعة قماش على جسده.

فتركناه هكذا صيفًا وشتاءً.. والذين حوله مجانين لا يعقلون حاله.. خرجت من هذه الغرفة.. ولم أستطع أن أتحمل أكثر.

قلت للطبيب: دلني على الباب.. للخروج. **قال**: بقى بعض الأقسام. **قلت**: يكفي ما رأيناه. مشى الطبيب ومشيت بجانبه.. وجعل يمر في طريقه بغرف المرضى.. ونحن ساكتون، وفجأة التفت إليَّ وكأنه تذكر شيئًا نسيه.. وقال: يا شيخ.. هنا رجل من كبار التجار.. يملك مئات الملايين.. أصابته لوثة عقلية، فأتى به أولاده، وألقوه هنا منذ سنتين.

وهنا رجل آخر كان مهندسًا في شركة. وثالث كان. ومضى الطبيب

يحدثني بأقوام ذلوا بعد عزٍّ. وآخرين افتقروا بعد غنى.. و. أخذت أمشي بين غرف المرضى متفكرًا.. سبحان من قسَّم الأرزاق بين عباده.. يعطي من يشاء.. ويمنع من يشاء.

قد يَرْزق الله الرجل مالًا وحسبًا ونسبًا ومنصبًا.. لكنه يأخذ منه العقل.. فتجده من أكثر الناس مالًا.. وأقواهم جسدًا.. لكنه مسجون في مستشفى المجانين.

وقد يرزق آخر حسبًا رفيعًا.. ومالًا وفيرًا.. وعقلًا كبيرًا.. لكنه يسلب منه الصحة.. فتجده مقعدًا على سريره.. عشرين أو ثلاثين سنة.. ما أغنى عنه ماله وحسبه..!!

ومن الناس من يؤتيه الله صحة وقوة وعقلًا.. لكنه يمنعه المال فتراه يشتغل حَمَّال أمتعة في سوق أو تراه معدمًا فقيرًا ينتقل بين الحرف المتواضعة لا يكاد يجد ما يسدُّ به رمقه.

ومن الناس من يؤتيه.. ويحرمه.. وربك يخلق ما يشاء ويختار.. ما كان لهما لخيرة.

فكان حَريًّا بكلِّ مبتلى أن يعرف هدايا الله إليه قبل أن يعُدَّ مصائبه عليه.. فإن حرمك المال فقد أعطاك الصحة.. وإن حرمك منها.. فقد أعطاك العقل.. فإن فاتك.. فقد أعطاك الإسلام.

هنيئًا لك أن تعيش عليه وتموت عليه.. فقل بملء فيك الآن بأعلى صوتك: الحمد لله.. وكذلك كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه جهة الشام في غزوة ذات السلاسل.. فلما صار إلى هناك رأى كثرة عدوه.. فبعث إلى رسول الله ﷺ

يستمده.. فبعث إليه ﷺ أبا عبيدة بن الجراح.. أميرًا على مدد.. فيه المهاجرون الأولون.. وفيهم أبو بكر وعمر.. وقال ﷺ لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا.

فخرج أبو عبيدة.. حتى إذا وصل إلى عمرو بن العاص قال له عمرو: إنما جئت مددًا لي.. وأنا أمير الجيش.

فقال له أبو عبيدة: لا ولكن عليَّ ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه.. أي: أنا أمير على أصحابي الذين قدموا معي.. وأنت أمير على أصحابك.

وكان أبو عبيدة رجلًا لينًا سهلًا.. هينًا عليه أمر الدنيا.

فقال عمرو: بل أنت مددي.

فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ.. قد قال لي: لا تختلفا.. وإنك إن عصيتني أطعتك.

فقال عمرو: فإني أمير عليك.. وإنما أنت مدد لي.

فوافق أبو عبيدة على ذلك.. فتقدم عمرو بن العاص ﷺ فصلى بالناس.. وبعد الغزوة.. كان أول من وصل المدينة.. عوف بن مالك ﷺ.. فمضى إلى رسول الله ﷺ.

فلما رآه.. قال له ﷺ.. فأخبره عن الغزوة.. وما كان بين أبي عبيدة وعمرو بن العاص.. فقال ﷺ: يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح.

نعم.. يرحم الله أبا عبيدة ﷺ.

فكرة

انظر للجوانب المشرقة من حياتك

قبل أن تنظر للمظلمة.. لتكون أسعد.

كـــن جبـــلاً

في بداية سلوكي في طريق الدعوة.. دعيت لإلقاء محاضرة في إحدى القرى.. استقبلني المسئول عن الدعوة هناك.. ركبت سيارته.. كانت قديمة متهالكة.. تحدثت معه.. أخبرني أنه حديث عهد بالزواج.

ثم اشتكى إليَّ من غلاء المهور في قريتهم.. حتى إنه لم يستطع أن يشتري سيارة جديدة.. أو على الأقل أحسن من سيارته.. دعوت له بالتوفيق.

ثم دخلت وألقيت المحاضرة.

وفي آخرها.. قرئت عليَّ الأسئلة.. وكان من بينها سؤال عن غلاء المهور.. ففرحت به وقلت: جاءك يا مهنا ما تتمنى!!

وانطلقت أتكلم عن غلاء المهور وتأثيره على الشباب والفتيات.. ثم ذكرت أن رسول الله ﷺ ما زوج بناته بأكثر من خمسمائة درهم.. ثم رفعت صوتي قائلًا: يعني بناتكم يا آل فلان أحسن من بنات النبي ﷺ؟!!

فصرخ رجل مُسنّ من طرف الصف قائلًا: إيش فيهم بناتنا؟

فثار آخر وقال: يتكلم على بناتنا!!

ونهض الثالث جاثيًا على ركبتيه وقال: أووه تتكلم على بناتنا؟!!

وكنت في حال لا أحسد عليه.

وكنت في أوائل طريق الدعوة.. وحديث التخرج من الجامعة.. بقيت ساكتًا لم أنبس ببنت شفة.. نظرت إلى الأول لما تكلم وتبسمت.. فلما تكلم الثاني.. نظرت إليه أيضًا وتبسمت.. وكذلك الثالث.

كان بعض الشباب في آخر المسجد يتضاحكون.. وبعضهم قاموا وقوفًا ينظرون.

وكأني بهم يقولون: وقف حمار الشيخ في العقبة[1] لما رأوا هدوئي.. هدءوا.. ثم قام أحدهم وقال: يا جماعة.. خلوا الشيخ يوضح قصده.

فسكتوا.. فشكرت له عمله.. ثم اعتذرت وأثنيت عليهم- وعلى بناتهم- ووضحت مرادي.

عند تعاملك مع الناس.. أنت في الحقيقة تصنع شخصيتك.. وتبني في عقولهم تصورات عنك.. يبنون على أساسها أساليب تعاملهم معك.. واحترامهم لك.

تأكد أن الأشجار الثابتة لا تقتلعها الرياح.. مهما اشتدت.. وإنما النصر صبر ساعة.

كلما زاد عقلك.. قل جهلك.. وإذا زاد قدرك.. قل غضبك.

كالبحر لا يحركه أي شيء. ويا جبل ما تهزك ريح..!

بل إنك لو استثارك شخص ما.. في مجلس.. أو بيت.. أو قناة فضائية.. أو محاضرة عام.. فإنك إذا بقيت هادئًا لم تغضب ولم تثر.. مال الناس معك ضده.

كان أبو سفيان بن حرب مقبلًا بقافلة تجارة من الشام.. فخرج إليهم المسلمون لقتالهم.. ففرَّ أبو سفيان بالقافلة.. وأرسل إلى قريش فخرجت

---

(١) «وقف حمار الشيخ في العقبة»: مثل يضرب للشخص الذي يدخل في أمر ثم يصعب عليه الخروج منه.

بجيش عرمرم.. ووقعت معركة بدر بين المسلمين وقريش.. وانتصر المسلمون.

قتل من كفار قريش سبعون.. وأُسِر منهم سبعون.

ورجع من تبقى من جيش قريش.. وهم جرحى.. وجوعى.

ثم وصل أبو سفيان بقافلته إلى مكة.. ورأى جيش قريش المهزوم.. كانت مصيبة أهل مكة عظيمة.

فمشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية.. في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر.. فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك القافلة من قريش تجارة.. أو مال.

فقالوا: يا معشر قريش.. إن محمدًا قد وَتَركم وقتل خياركم.. فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرًا.. ففعلوا.

وقد قال الله فيهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٦].

فخرجت قريش.. بحدها وحديدها.. وجدها وأحابيشها.. وخرج معها من تابعها من بني كنانة وأهل تهامة.

وخرجوا معهم بالنساء لئلَّا يفر الرجال من القتال.. خرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة.. وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أم حكيم بنت الحارث.. وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة.

فأقبل الكفار.. حتى نزلوا على شفير الوادي مقابل المدينة.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ.. استشار أصحابه.. ما رأيكم؟ نبقى في المدينة فإذا دخلوها علينا.. قتلناهم.

فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا: نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بـ «أحد» ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر.

فما زالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته ولبس أداة الحرب.. ثم خرج إلى الناس.. فلما رأوه ﷺ متهيئًا للحرب ندموا.. وأحسوا أنهم أكرهوه على الخروج.. وقالوا: يا رسول الله، أقم في المدينة إن شئت.. فالرأي رأيك.

فقال لهم: «ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعدما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل جبل أُحُد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرًا بقدوم العدو عليهم.

وقالوا: قد ساق الله علينا أمنيتنا.

ثم قال النبي ﷺ لأصحابه: «**من رجل يخرج بنا على القوم من كثب** - أي: من قريب- **من طريق لا يمر بنا عليهم**».

فقال رجل من بني حارثة بن الحارث اسمه أبو خيثمة: أنا يا رسول الله.. فسلك به في أرض بني حارثة وبين أموالهم ومزارعهم.. حتى سلك به في مال لرجل اسمه: مربع بن قيظي..

وكان رجلًا منافقًا ضرير البصر.. فلما سمع حسَّ رسول الله ﷺ.. ومن معه من المسلمين.. قام يحثي في وجوههم التراب.. ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل في حائطي.

ثم أخذ الخبيث حفنة من التراب في يده.. ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك.

فابتدره الصحابة الكرام.. وهجموا عليه مؤدبين.

فقال النبي ﷺ: «لا تقتلوه.. فهذا الأعمى.. أعمى القلب.. أعمى البصر».

ومضى رسول الله ﷺ.. ولم يلتفت إلى ذلك المنافق لأنه ﷺ كان رزينًا حكيمًا عاقلًا لا يلتفت إلى السفهاء.. ولا تثور أعصابه للتافهين.

نعم..

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا ... لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

والكلاب تنبح.. والقافلة تسير..

قناعة

الرياح لا تحرك الجبال..

لكنها تلعب بالرمال.. وتشكلها كما تشاء.